في مفهوم الإغراب – في الشعر – مدخل تنظيري

الكلمات المفتاحية: الاغراب،الشعر ، تنظيري

احمد محمد علي احمد أ.م.د ياسر عمار مهدي
جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية
100.ar.hum@uodiyala.edu.iq Yasir.ar.hum@uodiyala.edu.iq

الملخص

البحث الموسوم في مفهوم الإغراب في الشعر مدخل تنظيري يقوم على التعريف بمصطلح الإغراب في منظوره الادبي مستعينا بالأمثلة الشعرية لتوضيح ذلك وقد استند البحث الى توطئة للتعريف بالمصطلح من منظوره اللغوي والمفهومي ثم تبع ذلك عنوانان الاول كان تحت عنوان (فاعلية الإغراب في آراء النقاد ،والاخر الإغراب في الشعر) ثم إنتهى البحث الى خاتمة سجلت فيها أهم النتائج. والله الموفق

المقدمة

أَلْحَمْدُ للهِ الذي ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ اَبتِدَاعَاً، وَ اخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اختِرَاعاً، وَ فَتَحَ لَنا مِنْ أَبْوابِ الْعِلْمِ بِرُبوبِيَّتِهِ .

استند البحث الى المنهج التأريخي بطريقة يفيد بها من الوصفية محاولاً إضفاء الطابع الادبي في معالجة الأمثلة الشعرية .

اما بعد

فقد منَّ الله علينا سبحانه بكرمه والهمنا بفضله على اختيار عنوان بحثنا(في مفهوم الإغراب في الشعر مدخل تنظيري) لما له من الأهمية البالغة في دراسة الادب عامة والشعر خاصة منذ النشأة الاولى لتاريخ الادب العربي حيث يستعمل اللفظ الغريب .

وقد قام البحث بالتعريف بالمصطلح ممهداً إلى معناه الاصطلاحي كاشفاً عن ملامح هذا الإغراب وخصوصيته في التعبير الادبي، ولاسيما الشعري وتطرق البحث الى علاقه الإغراب بتسميات أخرى فقد وضعه بعض القدماء مع (البديع). واستند البحث إلى أمثلة من الشعر العربي في عصوره الزاهرة لإيضاح أهمية الإغراب في تحقيق التصوير الفني، فالشعر الذي يستند اليه يستقطب المتلقين ويبهرهم، وقد استند إلى عنوانين اساسيين الاول (فاعلية الإغراب في آراء النقاد والأخر الإغراب في الشعر).

الإغراب لغة:

الإغراب مصطلح حديث ،لأن النقد العربي القديم لم يتطرق اليه كمصطلح نقدي ،لذا وجب علينا أن نبحث في بعض المعاجم العربية اللغوية والاصطلاحية وأمهات الكتب ونسعى للوقوف على مفهوم وافٍ لكلمة (الإغراب) و لمحاولة التبسيط والتقريب بين وجهات النظر في المفاهيم اللغوية في معاجم اللغة العربية عن مصطلح الإغراب، وبعد البحث والتقصي وجدنا أَنَّ ((الغرب : التمادي ، وهو اللجاجة في الشيء ، قيل : وقد كف من غربي عن الإنشاد .

وكف من غربك اي : من حدتك . واستغرب الرجل اذا لج في الضحك خاصة واستغرب عليه في الضحك أي لج فيه)). [١]وهذا يعني الإكثار والزيادة عن المألوف .

((والغرب : ما يقطر من الدلاء عند البئر من الماء فيتغير سريعاً ريحه . ... واذا انقلبت الدلو فانصبت أو (انقلبت) يقال أغرب الساقي ، واذا أفاض جوانب الحوض قيل : أغرب الحوض . ... والغربة : النوى البعيد . يقال شقت بهم غربة النوى،

وأغرب القوم : انتووا . وغاية مغربه اي بعيدة الشاو . وغربت الكلاب أي أمعنت في طلب الصيد . ... والغريب : الغامض من الكلام)). [٢] وهنا جاء معناها الكثرة والتغير والقصد البعيد والإمتلاء والإبتعاد والغموض في الكلام.

((غرب القوم :ذهبوا في المغرب، وأغربوا :أتو الغرب، وتغرب : أتى من قبل الغرب)). [٣] وهنا جاءت تقصد الجهة ((الغربي من الشجر : ما أصابته الشمس بحرها عند أفولها)). [٤] وهنا مرض يصيب الشجر. وفي التنزيل العزيز : ((زيتونة لا شرقية ولاغربية)) . والغرب : الذهاب والتنحي عن الناس وقد غرب عنا يغرب غربا ، وغرب، وأغرب، وغربه ، وأغربه : نحاه . ... والغربة والغرب : النوى والبعد ، وقد تغرب . ... وقال عمر ((رضي الله عنه)) لرجل قدم عليه من بعض الأطراف : ((هل من مغربة خبر جديد جاء من بلد بعيد)) [٥] . وزاد هنا الخبر الجديد من البلاد الاخرى .إن النبي صلى الله عليه وعلى آله سُئل عن الغرباء ، فقال : الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي وفي حديث آخر : إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء . ... وأغترب الرجل : نكح في

الغرائب . ... والغريب الغامض من الكلام ، وكلمة غريبة ، وقد غربت ، وهو من ذلك. وأغرب الرجل : جاء بشي غريب ، وأغرب عليه ، وأغرب به : صنع به صنعا قبيحا . وعرفه الاصمعي : أغرب الرجل في منطقه اذ لم يبق شيئا الا تكلم به . ... وقال الأصمعي وغيره : وكل ما واراك وسترك فهو مغرب . [٦] ومن الحديث تدل على القلة والندرة ومن الكلام المتبقي تدل على الصناعة والاسترسال في الكلام والاطالة فيه . وعن الاصمعي ايضا : أغرب الرجل إغراباً إذا جاء بأمر غريب ... وفي حديث للحسن سئل عن القبلة للصائم ، فقال : إني أخاف عليك غرب الشباب ، أي حدّته . والغرب النشاط والتمادي . وأستغرب في الضحك ، واستغرب ، وأغرب : اشتد ضحكه ولج فيه : واستغرب عليه الضحك ، كذلك . وفي الحديث : إنّه ضحك حتى استغرب ، اي بالغ فيه . [٧]

((الإغراب كثرة المال وحسن الحال)) ، من ذلك ، كان المال يملأ يدي مالكه ، وحسن الحال يملأ نفس ذي الحال ، قال عدي بن زيد العبادي[٨] : (من الخفيف)

انت مما لقيت يبطرك الأغ راب بالطيش معجبٌ محبور

والغرب : الخمر ... ، والغرب الذهب وقيل الفضة .

قال الاعشى : (من المتقارب

اذا انكبّ أزهر بين السقاة تراموا به غربا او نضارا [٩]

الإغراب اصطلاحاً:

((الإغراب هو إتيان الأديب بالغريب وغير المألوف من الألفاظ والصور)) [١٠]

((الإغراب الميل للمجي بكل ما هو غريب او غير مألوف))[١١] .وفي العبارتين السابقتين ليشد السامع والقارئ وليتميز على غيره ويسمو على أقرانه ويحقق رغبته وطموحه .

أغرب أتى بالشيء الغريب أفصح وقال بالغرائب و أغرب عليه وبه : صنع به صنعا قبيحا . استغرب الشي : وجده او عده غريبا ... أغرب حسن حاله وأغرب الحوض : ملأه ، الغرب الذهب والفضة اغرب القدح ملأه خمرا [١٢] .ومن ذلك

نستدل على أنَّ هذه الكلمة لها معان كثر قد يتجاوز الثلاثين معنى حسب ما ذُكِرَ بمعاجم اللغة والمعاجم الاصطلاحية.

وقال الأعشى الكبير : (من الكامل)

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال : من ذا قالها [١٣]

يمكن القول ان الشعر هو ديوان العرب فان هذا البيت يكون اول نظرية للأغراب حيث ان الكلمة الغريبة تبعث الدهشة والاعجاب لدى المتلقي .

((غرب : كففت من غربه اي من حدته)) ، قال ذو الرمة : (من البسيط)

فكف من غربه والغضب تتبعه خلف السبيب من الاجهاد تنتحب

... وتكلم فاغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره ، وتقول : فلان يعرب في كلامه ويغرب فيه ، وفي كلامه غرابه، وغرب كلامه ، وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة ، ومنه مصنف الغريب ، وقول الأعرابي : ليس هذا بغريب ولكنكم بالأدب غرباء)). [١٤]

والفرق بين الاختراع والإبداع – وإن كان معناها في العربية واحداً أنَّ – الاختراع : خلق المعاني التي لم يسبق اليها ، والاتيان بما لم يكن منها قط ، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف ، والذي لم تجر العادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر ، فصار الإختراع للمعنى ، والإبداع للفظ ، فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد ، حاز قصب السبق . [١٥]

((الإغراب : في التراث الادبي القديم هو اتيان الاديب بالغريب وغير المألوف من الالفاظ والصور ،ويستخدم الان ترجمة للمصطلح الروسي Ostrancnic الذي صاغه الشكلانيون الروس وفسروه بان اللغة الادبية تختلف عن اللغة العادية، لأنها ترتفع عن مألوف الصياغات الجمالية للغة، ومن ثم تكتسب طاقة تعبيرية جديدة تساعد على نزع الالفة عن الاشياء المراد تصويرها ،وعلى احداث الاغراب المطلوب لنراها في صور جديدة غير مألوفة. وقد صار الاغراب سمة من سمات كثير من النصوص الادبية العالمية ...)) [١٦].

فاعلية الإغراب في آراء النقاد

نتحدث في هذا المقام عن ملامح الاغراب في النص الأدبي .ومن خلال قراءتنا وجدنا إن ذلك يعني المعاني والإغراب فيها ،ولاشك أنَّ الإغراب المعنوي يأتي من خلال الخيال والمحاكاة وتوليد المعاني والاستقصاء فيها ،وقد كان للفلسفة اليونانية والتأثر المعرفي الأثر الفاعل في الابداع والإغراب المعنوي .

والإغراب في النقد القديم يرتبط بالإبداع دوماً فهو قديم قدم الإبداع ،مستمر باستمراره ،وقد حضر مصطلح الإغراب عند النقاد من ارسطو والى هذا اليوم ،مع الاختلاف بينهم في درجة الاهتمام بالمصطلح الإغرابي ،وقد استقر عندهم حب الإغراب سواء عند المبدع او المتلقي ،فتطلعوا الى غرائب الصور ،وغرائب المباني والمعاني ،وغرائب الابيات ،وكان هذا الاهتمام عند المبدع والمتلقي . والإغراب ضرورة لازمة لانتاج الجمال والابداع عامة ،وهو منزع ضروري لأنتاج الجدة والتميز ، فالجميل في المنظار الفني هو قرين الغريب ،والإبداع هو مغايرة ،واضافة ،وإغراب وليس تقليداً او سيراً في ركاب السابقين .[١٧]

وبذلك فالإغراب أساس الابداع وإنتاج الجمال حسب مفهوم الجاحظ، إذ يقول : ((إن الشيء من غير معدنه أغرب ،وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم ،وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف ،وكلما كان لطرف كان أعجب ،وكلما كان أعجب كان أبدع ،...والناس موكلون بتعظيم الغريب ،واستطراف البعيد))[١٨]

وهناك اشتراك دلالي بين الإبداع والإغراب كونهما يشيران إلى عدم النظير ،فالإغراب توأم الابداع نشأة وتطوراً ،وقد استدعى هذا اهتمام النقاد منذ عهد أرسطو إلى يومنا هذا ،اذ قال أرسطو ((ان العبارة السامية هي التي تستخدم الغريب والمستعار وكل ما بعد عن الاستعمال))[١٩] وقد جعل فريدريش شليحل الغرابة من شروط الاصالة الشعرية .[٢٠]

إنَّ الإغراب متجدد بتجدد الابداع ،والإغراب في شجرة الإبداع أصل لا فرع ،فهو من سمات العمل الإبداعي التي أفتخر المبدعون بها وادعوا القدرة على تحقيقها ،والإغراب غاية ترتجى سعى لها المبدع الحق باحثاً عن فردوسه المفقود وأرضه

البكر التي لم تطأها قدم ،والغرابة لا تعني الغموض بل تعني الجدة والإبتكار ،والغريبة هي الجديدة المبتكرة .[٢١]

وقد جعل الشعراء على مر العصور الأدبية الإغراب أساس الشاعرية ،فابدعوا غرائب قصائدهم ليتذوقها المتلقون ففي نفوسهم حاجة للإبهام وجماله والإغراب بمفهومه العام ، وكان المتلقي أيضاً يُحفّز المبدع إلى الإغراب لإنتاج جمال جديد ليصادف في الخطاب الشعري اشياء تخالف ما تعود،فالغرابة هو ما يأتي من خارج منطقةالالفة اوالمألوف .[٢٢]

ولابد من القول إنَّ الحديث عن الإغراب بشكله النقدي في نقدنا العربي القديم بدأ مع حركة البديع عند الشعراء المحدثين ،ولكن أغرب ما يمكن ملاحظته أنَّ البديع يضم أطرافا من البيان في رؤى القدماء ، وإنَّ أنصار القدماء أنفسهم مدحوا الإغراب فقرنوه بالحسن ،والإبداع ،وأعجبوا بإغراب البعض من المبدعين .[٢٣]

وقد لاحظ النقاد حب الشعراء للإغراب فهذا الامدي يقول عن ابي تمام ((انه احب الإغراب ...فأخطأ)) وراح يتسقط معايب شعره قائلا : ((اني وجدت لبعض ذلك نظائر في اشعار المتقدمين فعلمت انه بذلك اغتر ،وعليه في العذر اعتمد طلبا منه للإغراب ....فاحتطب واستكثر منها))[٢٤]وبذلك فالامدي يشير إلى توظيف البديع عند القدماء والذي لم يؤد إلى الإغراب البعيد لكن عند ابي تمام ادى إلى الإغراب المضموني المعنوي المستغلق ،وهو يعبر عن اعجابه بأغراب القدماء ونفوره من إغراب ابي تمام ،الا انه يقر بحب الإغراب عند المبدع لكنّهُ ينفر من استغلاق أبي تمام فقليل من الإغراب مستحسن لديه ،أما أن يغدو نهجاً فنياً فامر يدعوه بإقامة الحد النقدي على ابي تمام لأنّه أدّى الى استغلاق في المضمون النصي .كذلك نجد ان المرزوقي نسب الإغراب الى المتكلفين من الشعراء المحدثين ،زاعما ((انه متى ما جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف عاد الطبع مستخدما ،وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها مطالبة له بالإغراب في الصنعة وتجاوز المألوف إلى البدعة....وذلك هو المصنوع))[٢٥]

ولم يقف حب الإغراب عند المبدعين بل تعداهم الى الرواة والمتلقين عامة ،فقال ابن قتيبة ((إنَّ الشعر قد يختار ويحفظ لأنه غريب في معناه))[٢٦] لقد نجد في هذا القول لابن قتيبة ان الرغبة والنزوع نحو الغريب او المضمون الغريب المعنى مستقرة وقائمة عند الرواة والنقاد وأصحاب الاختيارات .وهنا لاشك دعوة مضمرة الى الاتيان بالغريب الضمني في النص الادبي .

ويرتسم الإغراب عادة من خلال توظيف علوم البلاغة العربية توظيفاً غريباً غير مألوف مما يشكل الغرابة والسياقية في النص الادبي ،فهذا عبد القاهر الجرجاني يصور الحالة الغريبة التي تعتري المتلقي ،إذ تُعرض عليه الصنعة الساحرة في التشبيه ،فيقول ((فهذا كله تشبيه ولكن خودعت فيه فصار لذلك غريب الشكل .فالاحتفال والصنعة في التصويرات التي تروق السامعين وتروعهم ،والتخييلات التي تهز الممدوحيين وتحركهم ،وتفعل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر الى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالتخطيط والنقش ،او بالنحت والنقر .فكما أنَّ تلك تعجب وتخلب ...وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها ،ويغشاها ضرب من الفتنة ....كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور ،ويشكله من البدع))[٢٧]

وبذلك نجد أنَّ الإبداع والتألق عند عبد القاهر الجرجاني مقترن بالإغراب الذي ينتج الدهشة لدى المتلقي .ذلك المتلقي الذي حظي باهتمام النقاد ومنهم حازم القرطاجني (ت٦٨٤ هجرية)، الذي اعتنى كثيراً بأثر الشعر في نفوس المتلقين إذ يقول ((ومن المعاني التي ليست بمعروفة عند الجمهور ما يستحسن ايراده في الشعر ..... وذلك كالإحالات على الأخبار القديمة المستحسنة وطرف التواريخ المستغربة ،فإنها حسنة الموقع من النفوس وفي قوة جميع الناس أنْ يحصلها إذا أُلقيت اليه ....وليس الأمر في ما ذكرته كالأمر في المسائل العلمية .فأن أكثر الجمهور لا يمكن تعريفهم إياها، مع أنَّ أحدهم إذا أمكن تعريفه إياها لم يجد لها في نفسه ما يجد للمعاني التي ذكرنا أنَّها العريقة في طريقة الشعر ،لكون تلك المعاني المتعلقة بإدراك الذهن ليس الحسن والقبح والغرابة واضحة فيها وضوح في ما يتعلق بالحس .))[٢٨]

وكذلك يؤكد أنَّ الشعر المقترن بالغرابة او الاستغراب او التعجب تميل إليه النفوس

إذ يقول ((الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أنْ يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره اليها ما قصد تكريهه لتحمل بذلك على طلبه او الهرب منه ،بما يتضمن من حسن تميل له

ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته او بمجموع ذلك ،وكل ذلك يتأكد بما يقترن من إغراب ،فان الاستغراب والتعجب حركة للنفس اذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها ،فافضل الشعر ما حسنت محاكاته ،وهيئته وقويت شهرته او صدقه ،او خفي كذبه ،وقامت غرابته ....وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة ،واضح الكذب ،خليا من الغرابة))[٢٩]

وبذلك نجد ان القرطاجني ينصح المبدع بدعم خياله ومعانيه بالتعجيب والاستغراب الذي يثير النفس ويلفت نظر المتلقي ،إذ يقول ان للنفوس تحرك شديد للمحاكيات المستغربة ،لان الغرابة تحرر الشاعر من التقليد وهي وسيلة لإدهاش المتلقي وإمتاعه .وبذلك فالإغراب عنصر مهم ومهيمن في العملية الشعرية الإبداعية .

وقد استحسن النقاد كل ما هو غريب وجديد غير مألوف ،فلقد أدرك الصولي (٣٣٦هجرية) جماليات الإغراب المعنوي او المضموني فقال: ((ومن فضل البحتري انهم وصفوا صفرة اللون في العلل فكل قد حكى ذلك وقال بلا فضيلة ،الا البحتري ،فانه أغرب في ابيات ،فقال مفضلا للحمى))[٣٠]:

بدت صفرة في لونه ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد
وحرت على الايدي مجسة كفه كذلك موج البحر ملتهب الوقد
وما الكلب محموما وان طال عمره الا انما الحمى على الاسد الورد

اما ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هجرية) فقال:((قد يختار الشعر ويحفظ لأنه غريب في معناه))[٣١]

وهذا ابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢هجرية)يشجع الغريب والذي ليس بمألوف إذ يقول: ((إنَّ السمع إذا ورد عليه ما قد مله من المعاني المكررة والصفات المشهورة التي قد كثر ورودها عليه مجه وثقل عليه وعيه ...أو تضمن اشياء توجبها أحوال الزمان على إختلافه ،فيكون فيها غرائب مستحسنة وعجائب بديعة مستطرفة من صفات وحكايات ومخاطبات في كل فن توجه الحال التي ينشأ قول الشعر من اجلها ،فتدفع به العظائم ،وتسل به السخائم ،وتخلب به العقول ،وتسحر به الالباب .))[٣٢]

فهذا كله يؤيد إجماع النقاد على الإتيان بكل ما هو غريب ومبتكر ،ومن تجليات الإغراب عندهم الإتيان بالمهجور والمتروك .

ويتوافق الامدي(٣٧٠ هجرية) مع هؤلاء النقاد ويجعل الإغراب زيادة في حسن المعنى وصنعة الشعر اذ يقول ((فاذا اتفق لكل صانع بعد هذه الدعائم ان يحدث في صنعته معنى لطيفا مستغربا ... فذلك زائد في حسن صنعته وجودتها))[٣٣]

فالامدي جعل الإغراب حلية تضاف الى الصنعة ولاحقة يمكن الاستغناء عنها ،وهو في موازناته يمدح إغراب شاعر ويذم إغراب شاعر آخر .

وقد ادرك ابو هلال العسكري (ت٣٩٥هجرية) أهمية الإغراب في انتاج الجمال إذ قال: ((وانما يدل حسن الكلام وأحكام صنعته ، ورونق الفاظه ، وجودة مطالعه ، وحسن تأليفه))[٣٤]

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هجرية) ((بأن المعنى اذا كان ادباً وحكمةً ،وكان غريباً نادراً فهو أشرف مما ليس كذلك)).((إلا أنّه وفي الوقت نفسه ينكر ان يكون المعنى وحده منجم الفصاحة والبلاغة اذ يقول: "وذلك انه ان كان العمل على ما يذهبون اليه من ان لا يجب فضل ومزية الا من جانب المعنى وحتى يكون قد قال حكمة او ادبا واستخرج معنى غريبا او تشبيها نادرا فقد وجب اطراح جميع ما قاله الناس في الفصاحة والبلاغة وفي شأن النظم والتأليف)).[٣٥]

وقد شبّه المعاني بالحلي التي يدخل الصائغ فيها التصميمات الغريبة ليشكل إغراباً ملفتاً للنظر وبذلك فهو كسابقيه من النقاد يشجع على الإغراب في المعنى او المضمون ،إذ قال: ((إن سبيل المعاني سبيل اشكال الحلي كالخاتم والشنف والسوار فكما ان من شأن هذه الاشكال ان يكون الواحد منها غفلا ساذجا ،لم يعمل صانعه فيه شيئا أكثر من أن أتى بما يقع عليه اسم الخاتم ان كان خاتما ،والشنف إنْ كان شنفا ،وان يكون مصوغا بديعا قد أغرب صائغه فيه .،كذلك سبيل المعاني ان ترى الواحد منها غفلا ساذجا عاميا موجودا في كلام الناس كلهم ،ثم تراه نفسه وقد عمد اليه البصير بشأن البلاغة واحداث الصور في المعاني ،فيصنع فيه ما يصنع الصنع الحاذق ،حتى يغرب في الصنعة ،ويدق في العمل ،ويبدع في الصياغة .))[٣٦]

إنَّ عبد القاهر الجرجاني أكثر النقاد الذين ادركوا جماليات الإغراب وابداعاته ،وقد أشار كثيراً إلى أثر علم البيان والبديع في الابداع الإغرابي والإتيان بالإغراب في النص الشعري ،ومن ذلك حديثه عن اثر التشبيه في الاتيان بالإغراب ((وهكذا اذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئيين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب ،وكانت النفوس لها أطرب وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب ،ولذلك تجد تشبيه البنفسج في قوله (#) :

ولا زوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت

كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

أغرب وأعجب وأحق بالولوع واجدر من تشبيه النرجس (بمداهن در حشوهن عقيق).... ولو أنه شبه البنفسج ببعض النبات ،او صادف له شبها في شيء من المتلونات لم تجد هذه الغرابة ،ولم تنل من الحسن هذا الحظ .))[٣٧]

وبذلك فهو حين يتحدث عن الأجمل والأعجب يجعله مرادفا للإغرب ،ويقول في غرابة التشبيه ((كل شبه رجع الى وصف او صورة او هيئة من شأنها ان ترى وتبصر ابدا فالتشبيه المعقود عليه نازل مبتذل ،وما كان بالضد من هذا وفي الغاية القصوى من مخالفته ،فالتشبيه المردود اليه غريب نادر بديع ،ثم تتفاضل التشبيهات التي تجيء واسطة لهذين الطرفين بحسب حالها منهما ،فما كان منها الى الطرف الاول اقرب فهو ادنى وانزل ، وما كان الى الطرف الثاني اذهب فهو اعلى وافضل وبوصف الغريب اجدر))[٣٨]

ويصف جودة الشاعر بأعجب وأغرب من غيره لاختلافه حيث يقول: ((وإنما كان أعجب ،لان عمله أدق ،وطريقه أغمض ،ووجه المشابكة فيه أغرب)) . [٣٩]

وكذلك جعل ملامح الإغراب تأتي من الإستعارة وتجلياتها التصويرية ،وأثرها في إضفاء التخفي ،والغموض ،والإغراب .إذ يقول((وأعلم أن من شأن الإستعارة أنك كلّما زدت إرادتك التشبيه اخفاء ،إزدادت الاستعارة حسنا ،حتّى أنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد ألّف تأليفا إن أردت أن تُفصح فيه بالتشبيه ،خرجت إلى

شيء تعافه النفس ويلفظه السمع ....وفي الإستعارة علم كثير ،ولطائف معان ودقائق فروق))[٤٠]

كذلك نجد ان اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هجرية)،قد افرد في كتابه (البديع في البديع) باباً اسماه (الإغراب).[٤١]

وبذلك نجد إن النقاد العرب اتفقوا في مدوناتهم النقدية أن الإغراب إبداع وجودة وتجديد يحسب للشاعر، وهو يتأتى للشاعر من خلال الإنزياح البياني والإغراق والبعد بين الدال والمدلول وبذلك تكون تلك الحلى اللفظية البلاغية متآزرة مع الخيال والفكرة لتحقيق الإغراب. ولابد من الاشارة ان حازم القرطاجني اطلق مصطلح المعاني العقم غلى تلك المعاني التي يتوشحها الإغراب وقال ان ((من بلغها فقد بلغ الغاية القصوى))[٤٢]ولاشك إن الإغراب الذي يرتسم في النص الادبي ما هو الا نتيجة التلاقح الفكري والخيالي مع الوسائل اللفظية التي يتوشحها الإنزياح والعدول لتجعل غير المألوف مألوفاً ،والازاحة تحدث في بعض ثوابت اللغة ،وتعد المفارقة مثلاً إحدى مظاهر الإنزياح ،كقول المتنبي مثلا :[٤٣]

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا إن يكنَّ أَمانيا

فضلا عن ذلك ممكن أن نعد تراسل الحواس نوعاً من الإنزياح ،كقول بشار:[٤٤]

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وخلاصة القول ان الإغراق اللفظي المتوعر ،فضلا عن توظيف الفنون البيانية والبديعة كان عاملا في تشكيل الإغراب الموشح بالخيال والفكرة الغرائبية .

الإغراب في الشعر:

قال المسيب ابن علس

فلأهدين مع الرياح قصيدة منّي مغلغلة الى القعقاع

ترد المياه فلا تزال غريبة في القوم تمثل وسماع [٤٥]

وهنا جاء دور الإغراب في قول ابن علس إذ القصيدة التي تحتوي على الغريب، لا يملها المتلقي بل يعود إليها (قراءة وسماع)والتلذذ بكلماتها الغريبة وصعوبة توظيفها شعرا وفي رأينا انه لا يستطيع اي شاعر ان يوظف غريب الكلام شعراً يشد به متلقيه وسامعه .

وقال النابغة الذبياني

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها يُهدى اليّ غرائب الأشعار [٤٦]

ومن الشعراء على ما يبدو لكثرة تلذذهم باستخدام الغريب الحوشي من لغتنا العربية ومنهم النابغة فهو هنا يستغرب أن تهدى إليه غرائب الأشعار وهذا دليل قاطع أن شعراء العرب سابقا كانوا يتفاخرون باستخدامهم الغريب من الكلمات وتضمينها بأشعارهم رغبة منهم للتحدي اولاً، وجمالية للصيغة الشعرية ثانيا والتفرد بقصائدهم عن غيرهم .

قال ابو نواس

بديع شكل غريب حسن اعوزه المثل والقرين[٤٧]

وهذا شاعرنا ابو نواس يقدم لنفسه ولقصائده رونق جميل لاستخدامه الكلمات الغريبة وهو بنفس الوقت يتحدى أقرانه من الشعراء أن يأتوا بالمثل والقرين.((الإغراب :هو الإستغراب وذلك يأتي المتكلم بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله ،او سمع وهو قليل الاستعمال وسماه قوم النوادر)).[٤٨] ومما ذكر في هذا المعنى : قد يضع الناس في باب اوصاف المعاني الإستغراب والطرفة وهو أن يكون المعنى مما لا يسبق اليه. فلا يمكن حصره في هذا المعنى ،لان المعنى الجيد يكون جيداً اذا كان في ذاته جيد ويقال لما جرى هذا المجرى :طريف وقد لا يكون طريفا احيانا فكلمة غريب اكثر توصيفاً ،ويكون غريب اذا كان فرداً قليلاً من استخدمه .[٤٩] واذا كان متردد كثيرا بين الناس ، واستخدمه شاعر و ابدع وأحدث شيئاً غريباً صحت عليه الكلمة . وقرن القرطاجني(ت٦٨٤هجرية) بين الشعر الجيد والإغراب من خلال تعريفه للشعر حيث يحبب الشاعر للنفس ما قصد تحبيبه لها ويكره لها ما قصد تكرهه ويضمن حسن التخييل له والمحاكاة بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو شهرته ويختم بتأكيده على ما يقترن به من إغراب. بينما اختار معظم البلاغيين والنقاد تسمية النوادر ومنهم المصري الذي قال:((وهو الذي سماه قدامة(ت٣٣٧هجرية) قديما الطرفة وسماه من بعده

التطريف . وسماه قوم النوادر ،وقوم ابقوا على تسمية قدامة)) . وقال :((وهو ان يأتي الشاعر بمعنى غريب لقلته في كلام الناس ...)) [٥٠]. كذلك قول ابن الاثير الحلبي ((ويسمى هذا الباب بالإغراب، وهو ان يأتي المتكلم بمعنى غريب نادر لم يسمع بمثله او سمع وهو قليل الاستعمال))[٥١]

ومن الغريب الطريف قول أبي تمام :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنورهِ مثلا من المشكاة والنبراس [٥٢].

وهنا في قول ابي تمام لاستخدامه الغريب من الكلام في شعره فهو يطلب من سامعيه أن لا يعيبوا عليه كثرة استخدام الغريب من الالفاظ وقد سند استخدمه للغريب من القران كما في بيته الثاني.

ومن خلال ما ذكر نستخلص بعض المعاني التي حصرناها لهذه الكلمة وهي : ((المجيء بأمر غريب وقال بالغرائب والتمادي واللجاجة والحدة والكثرة والقلة والندرة والتغيير والقصد البعيد والامتلاء والغموض في الكلام والجهة والمرض الذي يصيب الشجر والعمل او الصنع القبيح والخبر الجديد من البلاد البعيدة وايضا الذهب والفضة وكثرة المال وحسن الحال)).

الخاتمة

بعد التفحص والرصد المنهجي لمفهوم الاغراب وخصوصيته في التعبير الأدبي توصل البحث إلى الآتي:

- وهناك ما يتجاوز عن الثلاثين معنى لهذه الكلمة لكنا اقتصرنا على ما يخص دراستنا . ونستنتج مما تقدم ان الاغراب: هو استعمال الشاعر للألفاظ الغريبة وصبها بقالب شعري رصين وكذلك استعمال المعقد من الألفاظ بحيث لا يكون في شعره ما ينفر الاسماع وانما يظهر هذه الالفاظ برونق جميل وثوب قشيب تستميل اليها النفوس بدل تنفيرها وهناك ما يدعو الشاعر الى استخدام الغريب منها ان الشاعر ابن بيئته ومجتمعه فاذا كان من مجتمع بدوي كانت الالفاظ الغريبة خليلة السليقة لديه لآنها مستعملة في بيئته ،وكذلك ان بعض الشعراء يستعمل الغريب ليبين الخزين اللفظي

لديه من جهة ويخفي شيئا ما تحت هذه الالفاظ من جهة اخرى كأن يكون استعمال الالفاظ المدحية ويريد منها الهجاء وكل ذلك تابع لحرفة الشاعر وكيفية تطويعه للألفاظ ،اما الصورة فيعمد الشاعر الى استخدام الغريب من الصور للفت الانظار وشد الانتباه ولكي يكون رقما اساسيا بين الشعراء الفحول لان الصورة الشعرية في قوتها تتضح فحولة الشاعر .

- يبدو واضحا ان الإغراب بوصفه هي مفهومه قديم قدم الادب فبه تتحقق التصويرية، فهو اي الإغراب الوظيفة الأساسية التي تستند اليها الصورة .

بحث بعض النقاد هذا الاصطلاح ضمن علوم البلاغة وتحديداً في علم البديع.

- قد تتداخل اصطلاحات اخرى مثل الغرابة، الإبداع، التجديد، الإبتكار وغيرها مع اصطلاحنا لصلته الضمنية معه بيد ان إصطلاح الإغراب له مفهوم واضح يرتبط بإتيان الاديب بالغريب من الالفاظ والصور .

Abstract

In the concept of alienation - in poetry - a theoretical entrance

Keywords: strangers, poetry, endoscopy

Ahmed Mohamed Ali Ahmed Prof. Dr. Yasser Ammar Mahdi

Diyala University/College of Education for Human Sciences

The tagged research in the concept of alienation in poetry is a theoretical approach based on the definition of the term alienation in its literary perspective, using poetic examples to clarify this. In poetry) then the research ended with a conclusion in which the most important results were recorded. God bless

الهوامش :

١- كتاب العين ، للخليل ابن احمد الفراهيدي (١٠٠هـ – ١٧٥ هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي الجزء الرابع باب (غ ، ر ، ب) : ٤٠٩.

٢- المصدر نفسه : ٤١٠ -٤١١.

٣- لسان العرب لابن منظور ،المطبعة الاميرية ببولاق في القاهرة تم اعادة ترتيب مواد الكتاب في دائرة المعارف pdf (باب العين : غرب) : ٣٢٢٥.

٤- المصدر السابق نفس الصفحة

٥- المصدر نفسه : ٣٢٢٦ .

٦- المصدر نفسه : ٣٢٢٧ .

٧- المصدر السابق :٣٢٢٥.

٨- ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد ـ ١٩٦٥م ، ط١ : ٩١ .

٩- لسان العرب : ٣٢٢٨ .

١٠- معجم مصطلحات الادب ، اشراف الاستاذ فاروق شوشة الامين العام للمجمع والدكتور محمود علي مكي عضو المجمع ، القاهرة ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ ، ١/ ١٧ .

١١ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة وكامل المهندس مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ط٢ (منقحة ومزيدة)، ١٩٨٤م

١٢ـ المنجد في اللغة ، لويس معلوف : ٥٤٧.

١٣ـ الاعشى الكبير ،الديوان تح .محمد حسين :٢٧.

١٤ـ اساس البلاغة، ابي القاسم جار الله محمود بن عمر احمد الزمخشري ت(٥٣٨هـ)،تح.محمد باسل عيون السود: ٦٩٦/١.

١٥ـ ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ابي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي ، تح :محمد محي الدين عبد الحميد .ط:٥ ،(١٤٠١هـ-١٩٨١م)،دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ،شارع سوريا- ص.ب ٨٧٣٧- تلفون ٢٥٨٦٣٠

١٦ـ معجم مصطلحات الادب: ٥ .

١٧ـ ينظر :اخبار ابي تمام ،للصولي ،تحقيق خليبل عساكر ،محمد عزام ،دار الافاق الجديدة بيروت :٦١، اسرار البلاغة ،عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق محمود شاكر ابو فهر ،دار احياء التراث العربي ،بيروت :١٢٦.

١٨ـ البيان والتبيين ،الجاحظ ،تحقيق محمد عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي ،١٩٩٨م، ٨٩/١-٩٠.

١٩ـ فن الشعر ،ارسطو طالييس ،تحقيق د.شكري عياد، القاهرة :١٢٢.

٢٠ـ ينظر :ثورة الشعر الحديث ، عبد الغفار مكاوي ،القاهرة ،١٩٧٢م ،الهيأة المصرية العامة :٤٨/١.

٢١ـ ينظر: تحليل النص الشعري ،لوتمان يوري ،ترجمة محمد فتوح احمد .،ط١،مصر :١٠٣.

٢٢ـ ديوان الاعشى الكبير ،تحقيق محمد محمد حسين ،القاهرة ، ١٩٥٠ م :٧٧.

٢٣ـ ينظر :جمالية الالفة ،شكري المبخوت ،جامعة دمشق، ط ١ :٤٤.

٢٤ـ ينظر :الادب والغرابة ،عبد الفتاح كيليطو،ط٣،المغرب :٦٩.

٢٥ـ الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ،الامدي ،تحقيق السيد احمد صقر ،دار المعارف ،مكتبة الخانجي ،١٩٧٥م:١٩٦/١ .

٢٦ـ شرح ديوان الحماسة ،للمرزوقي ،غريب الشيخ ،مكتبة دار الكتب العلمية :١٢.

٢٧ـ الشعر والشعراء ،ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث ،القاهرة :٨٦/١.

٢٨ـ اسرار البلاغة :١٣١.

٢٩ـ منهاج البلغاء وسراج الادباء ،حازم القرطاجني ،تحقيق محمد الخوجة ،المغرب ،الدار البيضاء :٢٨-٢٩.

٣٠ـ المصدر نفسه :٧١-٧٢.

٣١ـ اخبار البحتري ،تحقيق د.خليل عساكر ،مجمد عزام ،دار الافاق الجديدة ،بيروت :٧٤-٧٦.

٣٢ـ ينظر :العمدة ،لابن رشيق القيرواني ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،بيروت ،دار الفكر :١٩٦/٢.

٣٣ـ الشعر والشعراء ،لابن قتيبة الدينوري :٨٦/١.

٣٤ـ عيار الشعر .لابن طباطبا العلوي ،عباس عبد الستار ،نعيم زرزور دار الكتب العلمية :٣٠٢,٣٠٣ .

٣٥ـ الموازنة ،للامدي :٤٢٧/١.

٣٦- كتاب الصناعتين ،لأبي هلال العسكري ،تحقيق علي محمد البجاوي ،محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٥٢م:٦٤

٣٧- دلائل الاعجاز ،عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق محمود محمد شاكر ،دار الكتب العلمية بيروت :٨٠

٣٨- المصدر نفسه:١٦٣

٣٩ـ المصدر نفسه :٢٥٤

(#) ينسب هذا البيت الى ابي العتاهية ولم اعثر عليه في ديوانه ، أبو العتاهية ، تحقيق د. شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٥م ، ط١ ، ووجدته في اسرار البلاغة : ١٣٠ ، وان هذان البيتان فيما ارجح للزاهي ابي القاسم علي بن إسماعيل بن خلف البغدادي ، كما نسبهما اليه ابن خلكان في ترجمته وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت ، ١٩٩٤م ، ط١ :٣ـ ٣٧٢ .

٤٠- اسرار البلاغة :١٣٠,١٣١

٤١- المصدر نفسه:١٦٥

٤٢-دلائل الاعجاز :٨٧-٨٨

٤٣- المصدر نفسه :٤٥٠,٤٥١

٤٤- منهاج البلغاء وسراج الادباء :١٩٣-١٩٤

٤٥-العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ٢،تاليف :ناصيف اليازجي ،ضبط وتقديم عمر فاروق الطباع ،شركة دار الارقم :.٢٩٤

٤٦-ديوان بشار بن برد ،تحقيق محمد عاشور الطاهر ،القاهرة ،لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦م: ٦٦/١

٤٧- المفضليات : المفضل الضبي ، قول المسيب ابن علس : ٦٢ .

٤٨ -ديوان النابغة الذبياني ، تح . حمد وطماس ، دار المعرفة بيروت ص ٥٥

٤٩-ديوان ابو نواس ، تح . احمد عبد المجيد الغزالي ص٢٥٦

٥٠-معجم النقد العربي القديم . د.احمد مطلوب ،الجزء الاول /أ-----ذ/،دار الشؤن الثقافية العامة – ١٩٨٩،ص١٩٥

٥١- ينظر : المصدر نفسه ،ص١٥٧

٥٢- ينظر: المصدر السابق : ص١٥٨

٥٣- ينظر: المصدر السابق : ص١٥

المصادر والمراجع :

- القران الكريم
- اخبار البحتري ،تحقيق د.خليل عساكر ،مجمد عزام ،دار الافاق الجديدة ،بيروت
- اخبار ابي تمام ،للصولي ،تحقيق خليبل عساكر ،محمد عزام ،دار الافاق الجديدة بيروت، اسرار البلاغة ،عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق محمود شاكر ابو فهر ،دار احياء التراث العربي ،بيروت.
- اساس البلاغة،ابي القاسم جار الله محمود بن عمر احمد الزمخشري ت(٥٣٨هـ)،تح.محمد باسل عيون السود، ج.١
- الاعشى الكبير، الديوان تح .محمد محمد حسين
- الادب والغرابة ،عبد الفتاح كيليطو،ط٣،المغرب
- البيان والتبيين ،الجاحظ ،تحقيق محمد عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي ،١٩٩٨،ج١
- تحليل النص الشعري ،لوتمان يوري ،ترجمة محمد فتوح احمد .،ط١،مصر
- ثورة الشعر الحديث ، عبد الغفار مكاوي ،القاهرة ،١٩٧٢م ،الهيأة المصرية العامة .
- جمالية الالفة ،شكري المبخوت ،جامعة دمشق،ط ١
- دلائل الاعجاز ،عبد القاهر الجرجاني ،تحقيق محمود محمد شاكر ،دار الكتب العلمية بيروت
- ديوان الاعشى الكبير ،تحقيق محمد حسين ،القاهرة ، ١٩٥٠
- ديوان بشار بن برد ،تحقيق محمد عاشور الطاهر ،القاهرة ،لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٦م
- ـ ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق محمد جبار المعيبد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد ـ ١٩٦٥م ، ط١ .
- ديوان النابغة الذبياني ، تح . حمد وطماس ، دار المعرفة بيروت
- ديوان ابو نؤاس ، تح . احمد عبد المجيد الغزالي
- الشعر والشعراء ،ابن قتيبة الدينوري،دار الحديث ،القاهرة
- شرح ديوان الحماسة ،للمرزوقي ،غريب الشيخ ،مكتبة دار الكتب العلمية

- عيار الشعر .لابن طباطبا العلوي ،عباس عبد الستار ،نعيم زرزور دار الكتب العلمية ، الموازنة للامدي ج١
- العمدة في محاسن الشعر ،و ادابه ، ونقده .ابي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي ، تح :محمد محي الدين عبد الحميد .ط:٥ ،(١٤٠١هـ-١٩٨١م)،دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ،شارع سوريا- ص.ب ٨٧٣٧- تلفون ٢٥٨٦٣٠
- العمدة ،لابن رشيق القيرواني ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،بيروت ،دار الفكر
- فن الشعر ،ارسطو طالييس ،تحقيق د.شكري عياد،القاهرة
- العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ٢،تاليف :ناصيف اليازجي ،ضبط وتقديم عمر فاروق الطباع ،شركة دار الارقم.
- كتاب العين ، للخليل ابن احمد الفراهيدي (١٠٠هـ – ١٧٥ هـ) تحقيق . الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي الجزء الرابع باب (غ ، ر ، ب)
- كتاب الصناعتين،لأبي هلال العسكري ،تحقيق علي محمد البجاوي ،محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٥٢م
- لسان العرب لابن منظور المطبعة الاميرية ببولاق في القاهرة تم اعادة ترتيب مواد الكتاب في دائرة المعارفpdf (باب العين : غرب)
- المنجد في اللغة ، لويس معلوف
- الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري ،الامدي ،تحقيق السيد احمد صقر ،دار المعارف ،مكتبة الخانجي ،١٩٧٥م
- المفضل الضبي ، المفضليات ، ص٦٢ قول المسيب ابن علس
- منهاج البلغاء وسراج الادباء ،حازم القرطاجني ،تحقيق محمد الخوجة ،المغرب ،الدار البيضاء
- معجم النقد العربي القديم . د.احمد مطلوب ،الجزء الاول /أ-----ذ/،دار الشؤن الثقافية العامة -١٩٨٩
- معجم مصطلحات الادب ،الجزء الاول ،الاستاذ فاروق شوشة ،الامين العام للمجمع،والدكتور محمد علي مكي عضو المجمع . التحرير والمراجع اللغوية :سميرة

صادق شعلان ،مدير عام ادارة التحرير والشؤن الثقافية . القاهرة) ١٤٢٨هـ----٢٠٠٧م).

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ، مجدي وهبة وكامل المهندس مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح ، بيروت ، ط٢ (منقحة ومزيدة)